قضايا النقد الأدبي القديم ثانية ماستر أدب عربي قديم

المحاضرة رقم:7

قضية المفاضلة أو الموازنة بين شعرين أو شاعرين

تُعَدّ المفاضلة أو الموازنة بين الشعراء من أبرز قضايا النقد العربي القديم، وهي مسألة اهتم بها النقاد منذ القرن الرابع الهجري وما بعده، إذ سعوا إلى مقارنة مواهب الشعراء وإظهار الفروق بينهم في الأسلوب واللغة والمعنى والصورة والابتكار. وتعبّر الموازنة عن تطور الوعي النقدي وظهور معايير تُخضع الشعر للتحليل والقياس، بعيداً عن الذوق الفردي وحده.

تهدف هذه المحاضرة إلى تناول مفهوم الموازنة، جذورها، أسبابها، أساليبها، أهم نماذجها، ومعاييرها النقدية ودلالاتها الحضارية.

أولاً: تعريف المفاضلة والموازنة:

المفاضلة: هي تقديم شاعر على آخر أو قصيدة على أخرى من خلال تحديد أيّهما أبلغ أو أجود أو أعمق. وقد تكون مفاضلة في: جودة الأسلوب أو قوة المعاني أو روعة الصور أو صدق العاطفة أو الموسيقى والإيقاع.

الموازنة: أعمّ وأشمل من المفاضلة؛ فهي مقارنة تفصيلية بين شاعرين أو نصين، تتناول عناصر البناء الفني كاملة.

تهدف الموازنة إلى بيان مواضع الاتفاق والاختلاف، وأسباب التفوق الفني أو القصور.

ثانياً: جذور الظاهرة في النقد العربي:

1- البدايات الشفوية:

بدأت في الأسواق الأدبية كـ "سوق عكاظ"، حيث كان الشعراء يُقاس بعضهم ببعض. وكان الحكّام والقبائل يقدمون شاعراً على آخر في المدح والهجاء.

2- في العصر العباسي:

برزت الموازنة بوصفها ظاهرة نقدية منهجية مع تطور الثقافة وازدهار البحث النقدي. ومن أهم أسبابها:

- كثرة الإنتاج الشعري وتنوعه
- ظهور طبقة من النقاد المتخصصين
- تطور الذوق الجمالي
- بروز المدارس الشعرية (قديم/حديث؛ بدوي/حضري)..

ثالثاً: أبرز أعمال الموازنة في التراث العربي:

1- " الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري" للآمدي

هو أشهر كتب الموازنة، رسّخ فيه الآمدي منهجاً نقدياً يقوم على:

- عرض النصوص من الشاعرين، ثم تحليلها بيتاً بيتاً، ثم بيان مصادر المعاني، ثم عقد المقارنات في الأسلوب واللغة والصورة والابتكار، وأخيرا الحكم بأدلة عقلية نصية.

<u>خلص الآمدي إلى أن:</u>

- أبا تمام شاعر "الصنعة الفكرية"، والتعقيد اللفظي، والبحث عن الغريب. والبحتري شاعر الطبع والسلاسة والصورة المباشرة.

المفاضلات في كتب أخرى:

- ابن طباطبا في "عيار الشعر"
- قدامة بن جعفر في "نقد الشعر"
- المرزوقي في "شرح الحماسة"
- ابن الأثير في "المثل السائر"

وكلها تناولت مفاضلات تتعلق بالبلاغة والمعاني والصور.

رابعاً: دوافع المفاضلة والموازنة:

أ- **دوافع نقدية/علمية:** ناتجة عن تطور التجربة النقدية والحاجة إلى تقويم الشعر وتحديد معاييره.

ب- **دوافع سياسية/اجتماعية:** ناتجة عن تنافس القبائل فيما بينها، وصراع الأدباء في بلاط الخلفاء والولاة.

ج- **دوافع نفسية/شخصية:** كالغيرة الأدبية عند الشعراء والنقاد، والرغبة في الانتصار لشاعر دون آخر، وانحيازات النقاد ومزاجهم الثقافي

د- **دوافع جمالية وفنية:** ومنها حب استقصاء جماليات النص الشعري، والكشف عن مجالات الإبداع بين الشعراء.

خامساً: معايير الموازنة بين الشعراء: تفاوتت فيها معايير النقد العربي، ولكن أبرزها:

1- في المعنى: ينظر إلى أصالة المعنى أو تقليديته، وإلى عمقه أو سطحية معالجته، ومدى الجدة والابتكار فيه.

2- في اللفظ (اللغة): ينظر فيه إلى مدى ملاءمة المفردات للموضوع، وسهولة اللفظ أو غموضه، وخلوّه من الركاكة والتعقيد.

3- في الصورة الشعرية: ينظر فيها إلى مدى قدرتها على التعبير، ودرجة تأثيرها في المتلقي، ومدى انسجامها مع الجو النفسي والموضوعي.

4- في الموسيقى والإيقاع: ينظر فيه إلى: حسن اختيار البحر وانسجام القافية وجرس الألفاظ وتناسقها.

5- في الصدق الفني والعاطفي: ونعني بذلك النظر في عمق التجربة الشعورية وصدق الانفعال ومدى تفاعل الشاعر مع موضوعه.

6- في الخيال والابتكار: ينظر إلى خيال الشاعر في النص من حيث الإبداع في التشبيهات والاستعارات، ومن حيث الابتعاد عن التراكيب المستهلكة.

7- وحدة القصيدة: في ترابط الأبيات وانسجام البناء الفكري والوجداني.

سادساً: منهجية الموازنة بين شاعرين:

لإجراء موازنة أكاديمية سليمة، يُفضّل اتباع الخطوات التالية:

- تحديد محور المقارنة (مديح، غزل، رثاء، موقف فكري، موضوع واحد).
- اختيار نصوص مماثلة في الموضوع والغاية.
- إجراء تحليل فني لكل نص على حدة.
- تعليق النتائج في جدول مقارنة يبرز عناصر التفوق والنقص.
- صياغة حكم نقدي موضوعي مع الاستشهاد بالشواهد.

– تفسير أسباب الاختلاف: البيئة، الثقافة، الشخصية، التجربة الذاتية.

– تحديد السياق التاريخي للنصوص وعدم فصلها عن ظروفها.

سابعاً: دلالات الموازنة في النقد العربي:

تعكس هذه الظاهرة عدة أمور منها:

– وعي العرب المبكر بالنقد التحليلي لا الاكتفاء بالانطباع.

– تقدّم الذائقة العربية وقدرتها على التفريق بين مراتب الشعر.

– تطور أدوات القراءة واستخدام البلاغة واللغة والمنطق.

– أهمية الشعر في الثقافة العربية بوصفه سجلاً للهوية والجمال.

– نزوع العقل العربي نحو التصنيف والمفاضلة بين الأجود والأفضل.

ثامناً: نقد ظاهرة الموازنة: على الرغم من أهميتها، شابها عدد من السلبيات، منها:

– التحيز لشاعر دون آخر، واعتبار في كثير من الأحايين معايير جامدة للحكم على الإبداع، وإغفال السياقات الفنية الخاصة بكل شاعر، والتركيز المفرط على الألفاظ و"الأخطاء"، لكنها مع ذلك أسهمت في تأسيس منهج نقدي علمي.

خاتمة:

تمثل المفاضلة أو الموازنة بين الشعراء قيمة مهمة في تاريخ النقد العربي؛ إذ قدّمت لنا منهجاً صريحاً لقراءة الشعر وتقييمه وفق معايير واضحة. وقد ساعدت هذه الظاهرة في تطور النقد الأدبي، وفي إبراز الجوانب الجمالية في الشعر العربي عبر العصور. كما أنها تفتح باباً للنقاش حول طبيعة الإبداع، وحدود الذوق، ودور النقد في تشكيل مكانة الشعراء.